سامي الجندي

أتحدى... وأتهم

« لم تؤثر ظروفي الخاصة ابدا في
منطقي وتفكيري . فانا ، منذ قررت
ان اتكلم ، مصمم على كل الشقاء
واعرف اني اقامر برأسي ، ولكنه
عندي سيان . ساكتب حتى يسقط» ...

المقـــدمـة

ترى هل عفت مواطيء قدمي على أرض الوطن ؟

عهدي بالريح تذرو ، إذا ثارت ، التراب والرمل في كل قلعة وواد ، تنسرب حتى في مسام الجلد الحيّ وتعفّ عن آثار العشاق ، تدعها للشوق والحنين والعذاب .

ما كنت أعلم أن الريح تسفو في عينيّ كل ترابهـا ورمالها ، لم تدع ذرّة ولا رملة إلاّ وفقأت بها عين حنيني . تطوّح بي على متن إعصار أهوج إلى حيث لا يرسو شراع ، أظلّ أقلـــع بلا مرفأ ، كأن البحر الذي أمّته السفينة لا موانيء له .

لم أكن على حقّ ، إذن ، عندما ضحكت ممـــا قاله الشيخ حسن . كنت في غاية الأضطراب . قلبي كاد ينخلع هلعـاً وهو يقرأ في كتبه ، ولكني لم اتماسك من الضحك حتّى شدّ أذني .

كنا نمرّ أمام داره كل يوم نوصوص من خصاص الباب المربوط بحبل ، باب البسطاء دائما بلا رتاج كأنه وطن الغرباء الطارقينه عند العشيّ . ننظر إلى شجرة الرّمان فيسيل لعابنا . تشقّقت ثمارها وما قطفها العجوز . كنت أعرف عاداته كلّها . ربّاني ابنه حتى لكأنـــه عمّي الحقيقي . زوجته أمّ علي تقبلني حينما

تراني . تأتي بي كلما رأتني في حيّها إلى البيت تغسل لي وجهي ويديّ ، تدعو معي رفاقي وتضع أمامنا صحن « المتبلة » وهي واقفة تتفرّج سعيدة . أمّا الشيخ فكان ضنينا برّمانه . كانت ، إذا غاب ، تقول لي : هيّا أقطف !.. فأملأ جيوبي .

قبع الشيخ أيّاماً في الدار ما يريم ولا يعرج على رفاقه لاعبي المنقله . ونحن نقف كلّ يوم أمام الباب ، والرّمانة تدعونا ، فنراه يقلّب كتبه . كنا نعرف أنّ له إخوة من الجنّ وأنه يخلو بهم كل فترة أيّاماً ينقطع فيها عن البشر ، يسعد برفقة أحبائه ويتعلم منهم ما يجهل الناس عن مصائرهم .

عيل صبرنا فعزمنا على أن نحتال عليه ، وقرّ رأينا على أن أدخل عليه كي يقرأ لي بختي ويسرق رفاقي الرّمان .

دخلت عليه ، فوضع كفّه على جبينه ، حتى أذا عرفني بشّ وحيّا .

قلت له : إقرأ لي بختي ...

قال : ماذا ؟

فصحت ، كي يسمع : إقرأ لي بختي !

لم يكن بحاجة لأقول له اسم أمّي وأبي . كان يعرفنا جميعا . يعتب علينا أننا لا نؤمن بعلمه . أحضر الطاس وصبّ فيه الماء وغطى كل جسمه الصغير بدثار . دخل رفاقي على رؤوس أصابعهم . رفع الدثار وقرأ في كتابه ثم مرّر كفه على الرمل وعاود وضع الدثار . آب إلى جنه يستطلعهم ما خفي من أمري. قطف رفاقي الرّمان وخرجوا وئيدي الخطو .

قال لي : عجيب ما رأيت ... كأنك كائن بحريّ ، كأنّ

في كعبيك جناحين ... كأنــــك تطير . سوف تطوف بلاداً كثيرة . رأيتك تطير من مكان إلى آخر ... حياتـــك قلّب كأمرأة . الرحيل في عينيك . إحذر الأسفار ، جانب التنقل ، ستسعد وستشقى ...

كنت خائفــاً ساعتئذ منه أن يكتشف حيلتي ، على عجلة ، خشية أن يأكل رفاقي الرّمان . لم أنتبه لما قال .

جاءني الشيخ حسن في حلمي وأنا نائم على مقعد في مطــــار بيروت . قال لي : أتذكر يوم الرّمان .

قلت : بلى !

عندما استيقظت قلت أيضا للشيخ : بلى . كان وحده يعلم أني مقسور على رحيل لا حيلة لي فيه . هل كان يعلم الأسباب ؟ لا أظنه ، ولو قد فعل لأنبأني لعليّ كنت أتعلم الصمت فلا أريم شعاب القرية حتى يرتاح كل قلقي في نهاية بسيطة في ترابها .

أظلّ في حلّ وترحال لا أعلم أيان أسند رأسي غدا ، أجهل إن كنت أقيم يومين في مكان واحد والبوليس ورائي في العالم كله أختبيء منه وأتحـاشاه ولكنه يأتيني مهما أوغلت في التنكر ، يطرق باب غرفتي في الفندق ، ينتصب أمامي كـأنه العفريت الذي خرج دخانا من القمقم وحـال إلى مارد جامد التعبير كي يقول لي : انتهت إقامتك ولا بدّ أن تغادر البلد . وبعد جـدل واتصال برؤسائه يُسمح لي بيومين أفهم أنها تعني ثلاثة ، أغادر في ثالثها أرضه ويفهم أنها ثمان وأربعون ساعة أرحل خلالها .

بات ذلك شيئا عادّياً أعانيه ، حفظت قاموسه ، أردده على مسمع بوليس العالم كله فيجيئني نفس الجواب : الأوامر !

تعرفت على أشياء زادتني خبرة رغم أني لم أعد في العمر الذي تنفع فيه التجربة : الفنادق الفقيرة القذرة ومن يظن أني نزلت في فندقه تواضعا أو بخلاً أو زيادة في التنكر .

في عمان نصحني الخادم ألاّ آكل في مطعم الفندق . قال لي: اللحم فاسد ... عرفت ساعتها لماذا مرضت يومين .بدل الكاتب اسمي كي لا يتعرف على وجودي أحد حرصاً على حياتي . كان خائفاً عليّ وعلى سمعة نزله . إتصل بي أصدقاء كثيرون فأجيبوا أني رحلت أو أني في فندق الأردن الكبير ، فما يليق فندقه بمن كان مثلي .

ذات مساء وجدته يقرأ « عرب ويهود » . قال لي : اشتريته اليوم . من أجله سجنت ؟ قلت : بلى ... قال : متى نفهم نحن العرب ؟..

ضحكت ولم أحر جواباً .

أجهل من أين علمت صاحبة الفندق في باريس أني كنت سفيرا لبلادي هناك فأحاطتني بالعناية والتكريم واعتذرت عن رداءة غرفتها . قالت : أنا أعلم أن الفنادق الكبرى مكتظة بالسواح وأنك باق يوما أو بعض يوم ، ريثما تجد ما هو أفضل ، فاغفر ما ترى من قصور .

حتى إذا رأت أني أطلت قالت : أرى أنك أحببت فندقنا .

قلت : كثيراً .

فابتسمت تقول : يا للتواضع الكريم !

رفض لبنان أن يؤويني ليلة واحدة . عهدي به كبيوت

البسطاء بلا رتاج ، وطن غرباء ومشردين . وضعوا الأقفـال على راحة بابه . هددوه ولوحوا بالفوضى التي يمكن أن تأكل خضرته وهشيمه وحريته . جئته فارّاً مرات ، أعرف كل مسالكـه . يحار فيما يفعل الآن . ما بات قادراً على بسط يده كمتلاف .

كنت أريد أن أجمع أشيائي التي بقيت فيـه وأسير على غير هدى في شوارعه حتى تقلع الطائرة . كنت أود أن أقضي ليلة أخرى معه ، فنضحك طويلا ونثرثر كثيرا . أحسست وأنا أهمّ بالرقاد على المقعد أنه يضحك مني هذه المرة ، ثم صمت كتمثال عتيق مهموم أزليّ . ما كان يظن أن يوماً يجيء يطرق فيه بابـه مؤمن بالفن فإذا هو موصد بسلاسل الحذر . حلمت أني أدغدغ خاصرته حتى قهقه كطفل ما برّحت الأحزان عينيه .

ترى ، هل علم كم كنت مشوقاً إليه ؟ أعصابي كانت تنـدى حنيناً . أجمل ما صاغه بيـاني على أرضه . أجدني فيه كومضة نور ، ألتمع كنجم ، أخبو بعيداً عنه . إنه أيضاً وطني . كان حتى الأمس جزيرة حرية في محيط التخلف وأرى أمواج الطغيان تشحذ أنيابها على شطآنه حتى لتبتلع قسرا إيمانه بالقيم الإنسانية . كان عندي ضرورة فنية ، كلما همّ قلمي بحرف لجأت إلى رحابه . إنه وطن التعبير . إذا أغلق عليّ مصاريعه كيف تكمل إنسانيتي؟

في بيروت تنادى الموظفون للتفرج علي لا يصدّقون أني أنا . سألوني عن اسم أبي وأمي للتأكد ، مع أني كنت أنا ، مـا زلت أنا . لو استطعت أن أكون آخر !

بتّ أثقل على أي بلد عربي أحل فيه كأن تراب وطني حرام على عشاقه . أهلاً وسهلاً شريطـة أن تسكت . والخطر قريب

ولا بــدّ من أن أقول ما يجب أن أقول . والتهم تجري ورائي حيث حللت . كل الدوائر مسخرة لها . وجدت أخيراً موضوعاً لنشاطها .

جلست في أحدى محطات الترانزيت فإذا أمامي شاب عربي عرفته من ملامحه وتصرفه . أخذنا نتحدث معاً بانتظار طائرته . عرفت أنه يدرس في المانيا . سألته :

– هل قرأت كتاب « عرب ويهود » ؟

قال : لا !

– لماذا ؟

– هذا كتاب في مصلحة إسرائيل !

– من أين حكمت عليه ما دمت لم تقرأه ؟

– رفاقي قالوا لي !

– هل قرأوه ؟

– كيف تريد أن يقرأوا كتاباً لمصلحة اسرائيل ؟

– أنا أعرف الكتاب . لا أظنه كذلك .

ظهر عليه الأهتمام وقال : هل قرأته أنت ؟

– نعم !

– لم تجد فيه شيئاً ضد العرب ؟

– لا . . .

قال : لا أفهم . فقد أكدّ لي ذلك رفاقي .

قلت : ما داموا لم يقرأوه ، كيف حكموا عليه ؟

– الحقيقة لم نهتم به . . .

ثم تحدثنا في أمور شتى . عندما حان موعد قيام طائرتــه

قدمت له نفسي . قلت له : أنا سامي الجنـــدي وأريته جواز الصليب الأحمر الذي أحمله . وأضفت : عندما تعود إلى رفاقك، قل لهم أن مؤلف « عرب ويهود » لا يأكل أطفاله إذا جاعوا ، لا يلبسون إذا عروا وهم صغار بعد جميلو الصورة كملائكة الله . قل لهم أن أباهم لا يعرف عنهم إلا أنهم تحت الإقامة الجبريـة ، وأن بيتهم صودر وأن الدخول عليهم ممنوع ، وأنهم منذ شهور لا يملكون ثمن رغيف . أما السر فبسيط : الكتاب ضد مصلحة إسرائيل . فغرَ فاه ولم يفهم .

قلت له : أنا أيضا لا أفهم ، ولكن الأمور سارت كما ترى . قل لرفاقك أني بائس يائس أمنح كل وفائي ، بؤبؤ عيني لمن يسمح لي بالنوم ساعة واحـــدة على أرض الوطن ... وضحكت ثم زدت : بلى، أريد أن يأكل الغبار الثقيل العربي شيئامن أعصابي، أن تكتحل عيناي برمده .

قال : اسمح لي أن أقدم لك شيئاً . وأنت تعـلم أني طالب وإمكانياتي قليلة . وأخرج من محفظته دفتراً أهدانيه . عندمـا نظرت إلى عينيـه لا أدري كيف رأيت فيهما عيني ابني الصغير وهو يقدم لي آخر صورة رسمها . أظافر أصابعه وردية كأظافر ابني وشفته أيضاً . من أين جـاء هذا العربي الآخر العجيب ؟ تراه أتى يوقظ فيّ الضعف الذي أقاوم ببلادة الحس والتغابي ؟ كان يدعوني لكتابة شيء آخر .

كلمـــا أردت أن أصمت جاءتني بادرة صغيرة تحرض النهم المعتوه إلى أن أكتب أيضاً . لم أزدد ضياعاً . لقد زادني التبريح إيمانا بواجبي ورسوخاً في ذاتي . بتّ أقرب إليها ، أكثر تحديقاً

وأقل حذراً . إنه العناد الذي لا يسلس قياده لبغاء المرحلة .

في كل يوم يكثر أعدائي وأنا وحيد أوغل أبعد فأبعد في وحدتي حتى لتغمرني سعادتها . عندما صدر « كسرة خبز » مررت بمكتبة فوجدت فتية في عمر أبنائي يبتاعونه . إذن لم يتنكر لي جيل الأطفال الذي أحب وأتعذب من أجله ، الجيل الذي أود لو أموت كي أمنحه أياماً أسعد من أيامي . إنهم يقرأونني . يا للعزاء الجميل !

منذ خرجت من سجني الأخير وأنا معوّل على كتابة « من السفارة إلى السجن » أروي فيه للعرب جميعا وخاصة لهذا الجيل الذي صنعنا نحن السياسيين ، بدجلنا ،بؤس مستقبله ، حكاية معركة ١٩٦٧ كما شهدت الإعداد لها ، لا أخفي شيئا مما أعلم لعلهم يدركون كيف تمت الهزيمة فيعدون عدتهم كي لا يهزموا مرة أخرى . غير أن ظروفي لم تمكني من الإستقرار ساعة واحدة هادئة ألمّ فيها شعث نفسي وأركز انتباهي فلا أقع في أخطاء الأحصاء والتاريخ والأسلوب . لكن هذا الكتاب ظل حتى الساعة مذكرات متفرقة لم أستطع أن أصوغ منه غير فصول قليلة في شكلها النهائي . بعضها لدي وبعض في أماكن متفرقة من العالم كثيابي أجرّ ورائي جزءا منها في رحيلي الدائم ، والأجزاء الباقية إما في السليمية أو دمشق أو بيروت أو باريس، ولا أدري ما يكون من أمرها غداً .

كلما هممت بكتابته طوحت بي الأسفار ومشكلة الجواز واللجوء . إذا اكتمل بعض منه نقص بعض آخر والزمن يلح حتى لقد غدا ضرورة وطنية . فأنا أرى أننا مقبلون على هزيمة

أخرى وقريباً . وأنا لا أبني الرأي على تفاؤل وتشاؤم وإنما عن دراسة وتتبع .

خشيتي أن تقوم حرب في ١٩٧٠ تدفعني إلى أن أقول كلمتي سريعاً ، فما عدت استطيع انتظار « من السفارة إلى السجن » ومن يدري ، فقد لا تيسر لي ظروفي اعداده بصيغته النهائية . أمام هذه الحقيقة التي أواجه الآن رأيت أن أنشر هذا الكتيب لعله يجد صداه عند المسؤولين العرب .

قد يظن كثيرون أني كتبته بأصابع الحقد . أرجو لهؤلاء أن يقرأوا جيداً . خوفي من المستقبل لا يبيح لي الكره أبداً ولو علموا كيف كتبته لنزّهوني عن مثل هذا الظن . فلقد كنت أسرق الزمن حتى أخطّ سطوراً منه . في الطائرة نفسها وعلى مقعد المطار لم أضيع وقتي أبداً . وأنا ، مهما تشردت ، أعرف أني أدفع ثمن الحب . وما معنى أن نحب بلا ثمن ؟

لعل يوماً يأتي يفهم فيه أبناء وطني كم أحبهم فيمنحوني من أرضه عشرة أشبار أرقد عليها مطمئنا فأحكي لهم في قصص قصيرة وطويلة ما حلمت به طوال أربعين عاماً . أظن العشرة الأشبار تكفي لأن تهجع العين ، ولطاولة وكرسي ومحبرة.

ما أبشع أن يحس الإنسان أن رحيله أبدي وأن الشيخ حسن كان صادقا ،لأن يستيقظ كانس الطريق فيرى جثة هامدة على الرصيف أفضل ألف مرة من أن يراك وقد جفاك النوم تسير وحيداً بلا أرض ولا وطن ولا أهل ولا عشق .

حرب ١٩٧٠

تنبأت سنة ١٩٦٧ في « عرب ويهود » أن حرباً أخرى تقوم سنة ١٩٧٠ وبات ذلك عندي الآن يقيناً . لم أبن هذا الرأي عبثاً ولا حبّاً في إثارة اهتمام القارىء ، وانما أوحاه منطق الأمور ، وأهم ما فيه أن حرب الخامس من حزيران لم تستنفد أغراضها . إعداد الرأي العام العالمي لها واضح . اسبابها تتصاعد . ذروتها حريق الأقصى .

من يقرأ مذكرات حاييم وايزمن يجد أن الصهيونية طالبت إنكلترا إبان المفاوضات التي سبقت وعد بلفور بأن يضم الوطن القومي اليهودي جنوبي لبنان والجولان وتعثرت من أجل ذلك زمناً .

من يتتبع ما كتب عن حرب١٩٥٦ يجد أن انكلترا وفرنسا وإسرائيل كانت عازمة على إقامة دولة على طرفي قناة السويس دولية خاضعة للمساهمين بشركة القناة ، عرضها من كل جانب عشرة كيلو مترات .

لم يكن خافياً منذ ١٩٦٥ أن اسرائيل تبحث عن مبرر للحرب ولاحتلال الجولان وجنوبي لبنان ، فقد كان اقتصادها يلاقي صعوبات ما عهدتها ، ووضع البلاد العربية وهلهلة العلاقات بينها يسمح بغزو سهل .

لم تترك زيارة الرئيس الحلو لفرنسا مجـــالاً لشك في الوسط الدبلوماسي أن الوضع خطير وأنه يؤذن بالأنفجار وأن الخوف على حدود لبنان جديّ .

أكدت لي اتصالاتي في تلك الفترة أن الجولان بات مفروغا منه وكان الفرنسيون يلحون عليّ ، دائمـــا ، بضرورة وقف التهديدات والخطب النارية من الجانب السوري . وطلب إلي بين نهاية ١٩٦٥ وبداية ١٩٦٧ أن اسافر إلى دمشق مرتين للإتصال بالمسؤولين كي أنذرهم . وفعلت . منهم من كان يسخر من حديثي قائلاً أنه يعتبر أن زوال اسرائيل بات أمراً مفروغا منه ، حتى إذا عرضت ما لدي من معلومات ، قالوا : أنت تبالـغ . أنت بتّ بعيدا ، لا تعرف مدى قوّتنـا . وأقوم بحسابات بسيطة للميزانية فأجد الخطر في العقل الذي يبرر ولا يدبر . كان منطق الأهواء الغوغائي سداً منيعاً أمـام التفكير المعقول . كان المذيعون يوجهون العقل الحاكم ، يصيحون حتى يرضوه ، فيمسي صياحهم قناعات عند هؤلاء . ولكن هل كانوا جميعا على كل هذا العناء ؟ أنا أعرف أن بينهم الذكي الذي لا تفوتـــه الأمور إلى هذا الحد .

كان تحاشي حرب ١٩٦٧ ممكناً ، بل سهلاً ، بـــل واجبا قومياً . كان الفهم السياسي البسيط يفرض تأجيلها اكثر من عشر سنين وأنا في غنى عن القول أن الحكم في سورية كان يعدو إليهـا عدواً ، جعل منها القضية التي يعرض فيها عضلاته في المجـالات العربية ويثبت ثوريته ويدين الآخرين . بوسعه الآن أن ينكر ذلـك ، ولكن من يعود إلى الصحافة ويقرأ ما حدث بـــين

١٩٦٥ و ١٩٦٧ يتبين الألحاح على الحرب دون إعداد عسكري أو تنسيق سياسي .

كانت حرب ١٩٦٧ مثلا للمهارة من الجانب الإسرائيلي وللتخلف وسوء النية من الجانب العربي شبيهة بالقصص والروايات الأسطورية ، لم يعدّ فيها إلا الكلام والتصريحات النارية ، من أين درستها تجد الخلل حتى لكأنه متعمد .

من البديهيات السياسية الأولية أن تعمد الدولة الراغبة أو الخائفة من حرب إلى تنسيق سياسي . وكان الظرف الدولي مؤاتيا لنا إلى أقصى الحدود ، وأهم ما فيه التقارب الفرنسي السوفياتي . وكان واضحا أن الدولتين لا ترغبان في هزيمتنا أبداً . كان يبدو لي أن الأتحاد السوفياتي ينهى عنها أما فرنسا فقد كانت تلح علينا في تجنبها وهي أكثر الدول معرفة بقوة إسرائيل . وأنا في غنى عن القول أنها كانت تريد المحافظة بصورة خاصة على حدود سورية ولبنان لأنها تعتبر أنها مسؤولة أدبيا عنهما ، والجنرال ديغول اكثر عظماء القرن العشرين تمسكاً بالتقاليد التاريخية .

صرح إيغال آلون مباشرة بعد الحرب انها لم تستنفد أغراضها واعتبرها لذلك فاشلة وسمى في تصريحه علنا جبل العرب مما يدل على أن اسرائيل كانت راغبة في احتلاله ، والمراقبون يعجبون كيف لم تحتل اسرائيل ضفة القناة الغربية مع أنها كانت شبه مفتوحة . بعض يزعم أنها خافت التورط أو أنها لم تكن تملك القوى الكافيه . زعم عجيب ! فقد كانت خير من يعرف أن جيش المتحدة أصبح غير قادر على خوض أية معركة . إنها

تعرف أن احتلال القناة كاملة يخلق لها مشكلة سياسية معقدة . فهنالك انكلترا وهولاندا وفرنسا ، أعني مساهمي شركة السويس . ولم يكن خافيا على المطلعين على السياسة الفرنسية أن الجنرال ديغول رفض رفضا قاطعاً العودة إلى مشروع ١٩٥٦ أو أن تكون القناة اسرائيلية ، وبدأت مشاكله الداخلية مباشرة بعد الحرب ثم انتهت إلى استقالته . والآن يجري التمهيد إلى أن تصبح القناة غير عربية .

لم أشك لحظة في أن سقوط الجنرال مقدمة واضحة لحرب في ١٩٧٠ تحقق أهداف المرحلة كاملة بالنسبة لأسرائيل . لم أشك أبداً بأن جنوبي لبنان – إذا سارت الأمور على ما هي عليه – بات في حكم المحتل مع جزء من سورية والشاطيء الغربي للقناة وربما الأردن جميعه . وإسرائيل تمهد لذلك تمهيدا واضحاً وخاصة من ناحية لبنان . تريد أن تظهره عالمياً بمظهر الدولة المعتدية على حدودها .

من يتابع تصريحات المسؤولين الإسرائيليين ، من تصريح رابين أمام المجلس الأعلى الصهيوني المنعقد في بال مباشرة بعد الحرب – « جريدة الموند » – إلى تصريحات دايان المتعددة ، إلى تصريح ايبان حين زار الدول الإفريقية يجدها مجمعة على أن قيام حرب سنة ١٩٦٩ امر غير متوقع ، لكنه شبه أكيد سنة ١٩٧٠ .

يتساءل العرب : وماذا تفعل اسرائيل بمناطق أخرى تحتلها؟ ويذهب آخرون إلى أن ذلك شيء جيد لأن مشاكلها تزداد ويتسارع انهيارها . ذلك منطق عجيب أغرب ما فيه أنه بات شبه عقيدة راسخة عند العرب .

الإحتلال يخلق مشاكل . ذلك لا شك فيه ولكن اسرائيل محاطة بالمشاكل منذ الساعة التي بنت فيها الصهيونية أول مستعمرة وهي مصممة وعنيدة لم تتردد أبداً أمام الصعوبات. وفوق ذلك أن الدولة التي تتسع حدودها لا تضعف بل تقوى مثل هذه البديهية أجدني غير مضطر لشرحها ومناقشتها . هذا ، وبعد ، تلح الدعاية العربية على تضليل الرأي العام العربي كأنها مسخرة لإسرائيل متعاونة معها . إذا لم يفتح الشعب العربي عينيه على الحقيقة كلها فلن ينتصر .

تزعم مصادرنا جميعا أن الهجرة لإسرائيل متوقفة وانها متزايدة منها حتى بات ذلك حقيقة يؤمن بها العرب . ولكني أجد في الصحف العربية بين حين وآخر أخباراً تناقض ذلك يضعها التحرير في الزوايا المهملة ظاناً أنها تثبط الهمة . إن النصر هو أولاً معرفة .

نشرت جريدة الحياة في عددها الصادر في ١٢ أيلول ١٩٦٩ الخبر التالي : القدس — ١١ — و.ص ف : « وصل إلى اسرائيل منذ شهر أيلول ١٩٦٨ إلى آب ١٩٦٩ مهاجرون جدد يبلغ عددهم ٣٧ ألفاً أي بزيادة ٣٠ بالمائة عن الأشهر الأثني عشر السابقة . وأغلبية المهاجرين أتت من فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا . وتبلغ نسبة الذين أتوا من فرنسا بين هؤلاء ٨٠ بالمائة » .

إذن ، لم تتوقف الهجرة بل هي متصاعدة . وذلك يعني احتلال أجزاء أخرى من الأرض العربية . وتلح الصحافة على أن كل شيء بات حسنا وأن الوضع أفضل من سنة ١٩٦٧ وأن

كفتنا رجحت .

من يعد بالذاكرة أو القراءة إلى سنوات ١٩٤٥ – ١٩٤٨ و ١٩٦٤ – ١٩٦٧ ، إلى جو الصحافة والزعماء العرب يجده نفسه الآن ، بتصريحاته وخطبه وخلافاته . من يقرأ ما كتب بالأمس وما يكتب اليوم يجد هذا استمرارا لذاك يحضر للهزيمة رغم المد الثوري الدعي . لم يتبدل شيء ، ولم يغادر العقل مطرحه ، لم تهزه النكسات ، ظل متخلفاً ، يموه على الشعب ابتغاء مرضاته . زيّن له الغرور أنه وجد العلة والمعلول وأن الشعب طفل غافل ، فحق له أن يرعاه رعاية أب قاس إذا اعترض جلده . فغلّ لسانه ويده حتى إذا دق النفير دعاه فما لبى .

قد يقول قائل : لماذا الح على سنة ١٩٧٠ ؟ الأمر في غاية البساطة : الفرصة مؤاتية لأسرائيل وقد لا تعود مرة أخرى . الوضع الدولي ممهد لتقبل احتلال آخر ، والعرب لم ينسقوا قواهم بعد ولكنهم فاعلون بعد اجل . فالشعب يطالب بذلك . كما أن طاقتهم العسكرية والأقتصادية آخذة بالتزايد ، فلا بد من أن توجه إسرائيل ضربة قبل أن تكتمل إستعداداتهم . وأخشى ما أخشاه أن تقع الواقعة مرة أخرى قبل أن نحتاط لها ونعد أنفسنا لحرب لا نجر اليها جراً .

إن إسرائيل تقود المعركة حتى الآن وهي التي تقرر الزمن والمكان فلا بد أن نحذر من الوقوع في الفخ . ولا ننس أبداً أنها دائما دبرت معركة في الوقت الذي تصبح فيه قوة العرب نصف قوتها .

ما هي القوى التي يجب أن يحشدها العرب إذا كانوا جديين وأرادوا فعلا ربح الحرب ؟

تذهب المصادر العالمية جمعيا والعربية خاصة إلى أن الجيوش العربية باتت في وضع أفضل مما كانت عليه سنة ١٩٦٧ . فما معنى ذلك ؟

إن قوة أي جيش هي نسبية . كان جيش فرنسا سنة ١٩٣٩ أقوى من جيش نابليون بونابرت في أوج عظمته ولكنه أضعف من الجيش الألماني . وكان نابليون يلهو بألمانيا . حربه معها كانت نزهة عسكرية . فهل نعتبر الجيش الفرنسي ازداد قوة ؟

السؤال الذي يجب أن يطرح : هل أصبحت القوة العربية على مستوى قوة اسرائيل ؟ دخلنا معركة ١٩٦٧ بنصف قوات اسرائيل فقط وكانت جيوشنا في الأمكنة التي يجب أن تكون في غيرها . كان وضعها غير حربي كأنه أعد للهزيمة إعدادا .

كان يلزمنا من أجل ربح الحرب ثلاثة أضعاف جيش اسرائيل لأسباب عديدة :

١ - الجندي الأسرائيلي أفضل تدريبا وأكثر تفهما للآلة والتصرف بها .

٢ - تتمتع اسرائيل بوحدة القيادة ومرونة حركة الجيوش

في رقعة ضيقة حسنة المواصلات .

٣ – سهولة تحويل طاقاتها جميعا إلى الجهود الحربي .

٤ – إحتياطيها يعتبر جيشاً نظامياً يمكن حشده في زمن مثالي .

كان لا بد إذن من أن يحل العدد محل الكيفية .

كانت الجيوش العربية في أمكنة تخالف كل المفاهيم العسكرية الصحيحة . الجيش السوري مثبت في الجولان لا قدرة له على حركة مجدية بينما كان يجب أن يكون في المثلث العربي ، ليقوم بعملية خرق باتجاه الساحل يقسم بها اسرائيل إلى قسمين أو أن يكون قسم منه على الأقل إلى جانب الجيشين الأردني والعراقي.

كان الموقف السياسي العربي عجيبا جعل حركة الجيوش مشلولة . فسورية تحمل على الأردن حملات شعواء وتنادي بدخول تل أبيب عبر العروش : بيان جميل ولكنه غير واقعي. إن تاريخ الثورات نفسه لا يقبل هذا المنطق . ترى هل كان ماوتسه تونغ أقل ثورية عندما وضع الجيش الشيوعي الصيني تحت قيادة شان كاي تشك ؟

أما الحكم في العراق ، آنئذ ، فقد لفته ريح التعالي الثوري ورفض أن يرسل جيشه لسبب بسيط: كان على الأردن أن يطلب ذاك فيما قبل . ترى هل يصنع التاريخ بمثل هذا العقل ، وهل هي الخفة فقط التي دفعت إلى هذا السلوك ؟ أحاول أن أصدق فلا استطيع . كان ذلك استمراراً « للماكو أوامر » ألنوري سعيدية .

كان الجيش المصري على حدود سيناء والصحراء وراء تهدده

بالفناء بينما كانت تقضي الحكمة العسكرية بوضع قوات قليلة تنسحب عند الصدام ووضع القوى الرئيسية على شاطىء القناة الشرقي . وفي نفس الوقت تقوم الجيوش المتمركزة في المثلث العربي بحركة هجوم .

أما عن فاجعة الطيران فلست أطيل عنها الحديث .

أعلن كل الزعماء العرب تقريبا أنهم كانوا عارفين بأن الحرب واقعة في ٥ أو ٦ حزيران، فلم لم يتصرفوا إذن كما يتصرف العارفون بالأمور ؟ أظنهم يريدون أن يدللوا فقط على دقة معلوماتهم . فلقد سلكوا سلوك من لا ينتظر وقوعها في موعدها . أما السبب فهو ورود معلومات متناقضة بعضها يؤكد وبعضها ينفي . وكانت المخابرات هي التي تشكك وتنفي . كانت باريس أهم مصدر للأخبار وكنا نخوض معارك مع المخابرات لنثبت لها صحة معلوماتنا . والزعماء العرب كانوا وما زالوا يعتمدون مخابراتهم الغبية المتخلفة المرائية أولاً التي ضللتهم دائما .

كانوا يتصورون - واخشى أنهم ما زالوا يتصورون - ان الحرب تبدأ عندما يقررون . كنا في وضع لا نستطيع معه أن نضرب أولاً فكان لا بد ان نحسن الانتظار ونبني الخطة على أن اسرائيل هي البادئة . كان يقضي ذلك ان يستعد الطيران العربي للمعركة فيظل ، مهما طالت فترة الانذار مستنفراً مستمراً بمناوراته وتتراجع القوى التي على حدود سيناء حتى اذا توغل الجيش الاسرائيلي تقدمت الجيوش المتمركزة في المثلث العربي باتجاه البحر .

لا أشك ايضاً في ان وضع الجيش المصري ، في المواقع التي

كان فيها ، سياسي أيضاً بني على مفهوم خاطىء هو ان اسرائيل لا تريد الحرب ولا بدمن تهديدها كي تقلع عن الاحتكاك بسورية من جهة واستخدام الضغط الدولي بقبول الوضع الراهن بعد اغلاق مضائق تيران. وكان الرئيس عبد الناصر مستعدا للمفاوضة وتأهب زكريا محي الدين للسفر الى واشنطن من اجل ذلك . لا أشك أبداً في أنه كان يتحاشى الحرب .

وقعت المتحدة في فخ عجيب . والرئيس خير من يعرف التفوق الاسرائيلي لكنه أراد ان يناور مرة اخرى على سياسة التوازن في الشرق الاوسط التي اقام استراتيجيته عليها منذ تولى الحكم ونجح فيها اكثر من مرة .

كان يريد ان يخرج منتصرا من معركة سياسية فيتراجع محتفظاً برصيده العربي والعالمي وقدرته على الاستمرار بالشعارات التي ركز عليها دعوته ظاناً ان الدول الكبرى تتدخل في آخر دقيقة للحيلولة دون الحرب، معتقداً أن الاتحاد السوفييتي يذهب أبعد مما ذهب وأن امريكا تتفادى وقوع كارثة عالمية .

كان هذا التفكير صحيحاً سنة ١٩٥٦ أما سنة ١٩٦٧ فقد كان خطأ وما يزال حتى الساعة . تلك السنة كان اشتراك فرنسا وانكلترا عاملا أساسياً في التدخل الامريكي لأن الولايات المتحدة تعتبر الشرق الاوسط منطقة نفوذ لها لا لهما ، وما كانت المصالح الامريكية لتدع للدولتين الاولوية في المنطقة .

أما الاتحاد السوفييتي فهو غير مستعد للمجازفة في حرب عالمية في الظروف الحالية لأنه مغلوب فيها حتماً مردود الى حدود ١٩٣٩ . غلبة الغرب عليه تهدد بزوال النظام الشيوعي. فأمريكا

متقدمة عليه تقنياً واقتصادياً كما أن المانيا استعادت قوتها الاقتصادية وبوسعها في مدة جدّ قصيرة أن تعود قوّة عسكرية.

هذا، وفوق ذلك، لم ننسق بعد سياستنا مع الاتحاد السوفييتي رغم المساعدات التي يؤديها للبلدان العربية ورغم ما يشاع عالمياً عن النفوذ السوفييتي في البلدان العربية الاشتراكية، وليس هو بالدولة التي تجرّ جرّاً الى ازمة عالمية أو يدخل حرباً لم يعدّ نفسه لها ولم يقرّرها بنفسه. ولو رضي أن يكون تبعاً لما أصبح دولة عظمى والساسة العرب يريدون منه أن يكون – كما جاء في القصص الشعبي – المارد الطيّع، تفرك خاتمك فاذا هو امامك يقول «لبيك، عبدك بين يديك».

لم تستطع السياسة العربية حتى الآن ان تجعل من قضية فلسطين قضية أولية في السياسة العالمية تهدد، إذا مست بانفجار، وهذا يقتضي تنازلات كثيرة وخللاً في العلاقات العربية، أعني جعل المنطقة منطقة نفوذ سوفياتي واضحة وما يتلو ذلك من نتائج قد لاترضي الغرور القومي ولكنها تحفظ حدود الدويلات العربية، منها القبول بالقواعد والتنسيق السياسي ونسف مبدأ الجامعة العربية. فهنالك دويلات أخرى لا تمكنها ارتباطاتها من الخروج على النفوذ الامريكي.

تبدو اقوالي غريبة على القارىء العربي ولكني افكر بهدوء وحزم. كانت السياسة العربية حتى الآن، رغم مزاعم التطرف، سياسة نصفا تريد كل شيء فتفقد كل شيء: تريد تحرير فلسطين دون ان تكون لها القوة. تريد الاستقلال السياسي المطلق الحر من الارتباطات وتقرير مستقبل المنطقة دون ان تنتظر

الزمن الذي تصبح فيه على هذا المقياس .

إن المحافظة على الإستقلال المطلق يملي أيضا تنازلات كثيرة وخاصة على البلدان ذات الأتجاه الإشتراكي : تنسيقا أفضل وتعاونا أمتن مع البلدان التي اعتبرتها رجعية .

كان الوضع السياسي سنة ١٩٦٧ غير حساس دوليا وكان ضروريا وضع الجيوش في الأمكنة التي تنسجم مع خطة عسكرية معقولة ، والسياسة تحل في المقام الأول حتى ساعة الخطر فتسلس عنانها للعسكريين

قلت : وقعت مصر في شرك نصب لها . فقد كان أحد اهداف تلك الحرب كسر شوكتها . ولقد تعاونت الظروف حتى لكأنها محسوبة لعقل الترويي .

جعل وضع مصر الجغرافي وطاقتها البشرية الكبيرة وجهاز الدولة القديم الذي مكنها من أن يكون لها هيكل دولة كامل ، على خلاف الدول العربية الأخرى التي ما استطاعت حتى الآن أن تتجاوز البنية العشائرية ، في المقام الأول بين الحكومات العربية وسلمها مركز القيادة ، شاء الآخرون أم أبوا . فهنالك حتميات في التاريخ لا يمكن بل لا يجوز تناسيها ، الخروج عليها خطير في الظروف التي تجتازها المنطقة .

لا أنكر أن السياسية المصرية وقعت في أخطاء جسيمة في السنوات الماضية غير أن الخطأ لا يبرر تنكر الآخرين للتاريخ وحيلولتهم دون وضع استراتيجية مثمرة .

لهذه الأسباب كانت الغلبة على مصر تعني نجاح المخطط الإسرائيلي لمدى سنوات عديدة ، وذلك ما حصل فعلاً . تلك

حقيقة يدور العرب حولها ولا يجرؤون على قولها . إن العمل الجدي للنصر يفرض إدراك الهزيمة إدراكا كاملاً دون حذر ولا مداراة . ولأن ندور حول الواقع فنلفعه بما يعمينا عنه ، يقودنا إلى هزيمة أفدح .

مواقف كثيرة من أطراف عديدة تضافرت جميعاً كي تقع مصر في الشرك .

إشترط اوثانت عودة قوات الأمم المتحدة جميعا – بعد أن سحبها بمنتهى السهولة – أو عدم عودتها مع أنه كممثل للأمم المتحدة مفروض عليه أن يساعد في تخفيف التوتر لا أن يسعره . لقد وقف من الرئيس عبد الناصر موقف من يضعه بين المطرقة والسندان . كان قبوله بعودة الجزء يعني تجنب الحرب فلماذا لم يفعل ؟

كان عرض المفاوضة من قبل الولايات المتحدة تطمينا للرئيس فقط وتحذيراً له حتى لا يتخذ أهبته مما لا ينسجم مع وضعها كل القوات اللازمة لإسرائيل في المعركة : أعني الباخرة ليبرتي . ولو احتاجت اسرائيل غير ذلك لعمدت إلى التلبية . فما جاء الأسطول السادس ليقوم بنزهة بحرية في المتوسط .

دور الحكم في سورية كان عجيبا . قبل الحرب وبعدها جهدت في ان افسّره أو افهمه ، فلم اقدر لأن التفسير ينتج عنه تقييم قاس لم تمكّني عواطفي حتى الآن ورغم كل شيء من أن أصل اليه . فقد كانوا بعثيين خضت الى جانبهم معركة مرة طويلة نمت عبرها وشائج أمتن من القربى لا تبيح لي أن اكنّ لهم غير الحب .

لقد فضلت منذ تبينت ، أو بالاحرى منذ قنعت بانحرافهم وقد انقضت فترة طويلة بين الرؤية والقناعة ، ان أنزوي متعللا أنهم يثوبون الى سلوك سوي . ما كنت اظن ابدأ ، بـــل لا أستطيـع حتى الساعة أن أظن ، ان بعثيا يتنكر للاخلاق فلا يعود أبداً الى كريم سبلها . أفضل أن اتهمهم بالحماقة رغم انها تعني الخيانة عندما تذهب بجزء من أرض الوطن وتلحق بالعرب هزيمة لم يعرف تاريخ الشعوب أذل منها.

بقاؤهم في الحـكم يفرض علي حسن الظن مؤمّلا أنهم يبدلون من سلوكهم رغم البوادر التي تنفي ذلك .

كان مخططهم ضرباً من ضروب الخيال . فلقد اوهمهم مـــا ظنوه نصراً ضد شركة نفط العراق أنهم باتوا شيئاً هاماً جداً . كان ينبغي عليهم أن ينـــاموا على ما وصلوا إليه فترة من الزمن فيمتنوا الإقتصاد والجيش حتى يصبحا أهلا لخوض حرب جدية والا يبالغوا بالكسب الذي جنوه .

من يرجـع قليلا إلى تاريخ شركات البترول يجد أنها تزيد كل فترة عائدات الدول المستثمرة أرضها نسبة تقارب ١٥٪ تبعـاً لتطور زيادة الدخل ومستوى المعيشة والأرباح ولكنهـا تحيط ذلك بضجة كبيرة حتى يظن الشعب ، صاحب الأرض ، أنـه توصل إلى نصر فيقعد عن المطالبة برفع حصته إلى أجل وما ذلك غير تصعيد Sublimation للضغط الشعبي . إن معرفة السياسي لهذه الأشياء أساسية كي لا يضل .

اعتبر الشباطيون [١] أنهم باتوا خطراً على الإستعمار وقوة

---

١ ـ الذين قاموا بانقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ على القيادة القومية .

دولية هامة وظنوا أن حضورهم المؤتمرات العالمية والتقارير الكاذبة التي كان يقدمها ممثلوهم والتي تبدأ بقصة خيالية تتحدث عن العزلة التي وجد فيها الوفد نفسه وتنتهي بـ « وأخيرا وبعد الأتصالات سيطرنا على جو المؤتمر » . ظنوا ذلك انتصارات حقيقية ولو كلفوا أنفسهم عناء الإطلاع على ما تنشره الصحف عن وفودهم لاقلعوا عن أوهامهم .

مثلاً : زيارة زعيّن إلى فرنسا، كانت ،لولا تهذيب الفرنسيين ورغبتهم الجدية في التعاون ، فضيحة دبلوماسية . عندما قرأت ما روته عنها الصحف الدمشقية لم أتمالك من شد شعري . لم أتصور أن التضليل يبلغ هذا الحد . وأغرب من ذلك ، أن المسؤولين الحقيقيين كانوا يصدقون ويبنون السياسة على حصيلة الأوهام .

منذ الثامن من آذار والمجموعة التي حكمت بعد ٢٣ شباط تعيش عقدة نقص خطيرة : من يقود الثورة العربية : هم أم الرئيس عبد الناصر ؟

لم يكن يعنيهم أبداً أن ينتصر العرب في حرب حزيران نصراً كاملاً . فهم يعرفون أن ذلك مستحيل وما كانت التقارير التي بين أيديهم تدع مجالاً للشك . قد لا يكون المدنيون مطلعين على تلك التقارير . فهم منذ الثامن من آذار يجهلون كل ما له علاقة بالجيش وشؤونه حتى ما اتصل بالتنظيم الحزبي فيه ، فلا يجوز لهم حتى حضور الإجتماعات الحزبية الخاصة به غير مخولين بتقرير شؤون الحرب والسلم . لا أعني من ذلك أبداً أنهم مخولون بتقرير الشؤون الأخرى .

عقدة قيادة الثورة تفسر ، إلى حد بعيد ، الألحاح على الحرب من الشباطيين. كان تقديرهم أن الجيش المصري يقاوم أياماً يخرج منها والجيش الإسرائيلي محطمين ، فيتدخل الجيش السوري منقذاً له ، محتلاً للأردن حتى إذا تدخلت الدول الكبرى آبوا بنصر يمكنهم من احتلال مركز القيادة .

كان تقديرهم أن الأردن لا يدخل الحرب بل يصرون على ألا يدخلها . لقد فوجئوا بزيارة الملك حسين للرئيس عبد الناصر واتفاقهما ، وثاروا ضد ذلك وسعّروا حملتهم الأذاعية ضد الأول . فقد كانوا ينتظرون منه امتناعا ، فثورة من الجيش والشعب ضده تسهل تنفيذ المخطط . ولكن هل كان بوسع الحسين تحاشي الحرب ؟

في الخامس من حزيران هلل الشباطيون ، كانوا جميعا يرددون علناً : « وأخيرا ورطنا عبد الناصر » . حتى إذا جاءتهم الأنباء وقعوا في ارتباك شديد لأن تقديرهم الرئيسي كان خطأ فاحشاً لقد قاموا باتصالات كثيرة وعديدة قبل الحرب ، بعضها مشبوه ، للوصول إلى المخطط المذكور مما يتطلب مني بحثا طويلا وأعطاء الدليل عليها لا يتسع له مجال هذا الكتيب .

أسقط في أيديهم وسيطر عليهم الاضطراب والفوضى منذ اليوم الأول فما يعلمون ما يفعلون خاصة عندما بدأ الهجوم الأسرائيلي الذي لم يكونوا ينتظرونه أبداً . وحصلت إتصالات عديدة وسريعة في عدة عواصم حصرت بوزارة الخارجية التي حاولت ، خاصة ، أن تبعدني عنها . والحقيقة أني لم أعرف عنها شيئا إلا بعد حين .

ذهب كثيرون إلى أن تسليم الجولان كان متفقاً عليه قبل الحرب ولكني أجزم أن هذا خطأ . لأن الأتفاق على ذلك لم يتم إلا في الثامن والتاسع من حزيران . هــذا ، وبعد ، لو سألت مبتدئا عسكريا عن المدة التي يمكن أن يقاوم بها الجيش السوري لأجابك : سنينا .

لا أستطيع وأنا المدني أن أقدر ذلك ، لكني لست بحاجة للقول أن المقاومة لم تتم .

لست بحاجة الى ان أقيم دليلا . كان الحكم يتردد بين فرضيتين :بقاؤه أم الأرض . فانتقى البقاء وهو يجهل أنه اختار زواله . بقاؤه الحقيقي كان رهنا بقيادة المقاومة ، غير أن خوفه من الشعب غل طاقته . جهله لشعب سورية هو علته الحقيقية ، فهو الشعب الذي لا يسلس قياده لمن يستسلم . ظن الحكم أنــه مبدئيا ضده مع أنه كان دائما مع المقاومة قادهــا اشتراكي أم اشتراكي دعي أم غير اشتراكي .

لقد قررت السياسة أيضــاً مصير الحرب دون الرجوع إلى العسكريين : كانت هزيمة الجيش السوري هزيمة سياسية محضاً . إن القرار بالانسحاب الكيفي سبّة عهد في تاريخ الشباطيين ليس لها مثيل في تاريخ الشعوب حاولت أن أجد لها سابقة في كل ما قرأت وسمعت ، فما توصلت . أفهم أن تنسحب سرية أو كتيبة أو لواء انسحابا كيفياً . أما جيش كامل ، فتلك عجيبة القرن العشرين . إنسحاب كيفي للجيش السوري الشجاع الذي لم يهزم أبداً ، الجيش الذي يتمسك بظفره ونابــه وقلبه ، حتى الموت بكل ذرة من تراب الوطن . لقد نكست قيادة الشباطيين كل

أعــلامه ، ولست أدري حتى متى ، ثم تنصلت من مسؤولية هزيمته واعتبرتها عسكرية ، وأنا مؤمن أنه في اليوم الذي يعود فيه جيش سورية الحقيقي لن يهزم أبداً .

قد يعترض كثيرون على ما أقول ، فيذهبون إلى طلب المستمسكات والبينات . لكن حكم سورية ارتجـالي شفهي دون نصوص . وهل يستطيع أحد أن يضع أمامي فرضية تعلل حرب حزيران وهزيمتها غير تلك ؟ هـل يستطيع الفكر أن يتحدث عنها دون أن يرفـع إصبع الأتهام ؟لو خفضت إصبعي هل يخفض التاريخ إصبعه ؟

إن الهزيمة بحاجة إلى محاكمـة وإدانات ، وسيظل الحكم الشباطي مدانا حتى يعمد لذلك . ولو شئت أن أدفـع عنـه التهمة لفشلت !..

منذ الهزيمة والعرب يفكرون بمعركة ثأر دون أن يدرسوا إمكانياتهم وأوضاعهم جدياً . أين نحن الآن ؟ سأتحدث عن ذلك وسأرفض أولا منطق : كل شيء حسن .

وضعنا الآن أضعف مما كنا عليه سنة ١٩٦٧ ولا بــد من أضعاف القوى التي اشتركت آنئذ حتى نتكافأ مع اسرائيل .

من الناحية الاستراتيجية فقدنا المثلث العربي وامكانية قسم اسرائيل الى قسمين وسيناء وامكانية التصرف بسيناء في عمليات كرّ وفرّ والجولان ومواقعه المنيعة .باتت دمشق مدينة مفتوحة ما لم يعدّ شعبها ويسلح للدفاع عنها ، أما الأردن فهو من الناحية العسكرية في حكم المحتلّ . ولا بد في حالة حرب من ايجاد قوى تستطيع عبور القناة ونهر الاردن واستعادة الجولان. كنابحاجة

سنة ١٩٦٧ الى مليون جندي ، أما الآن فمليون ونصف .

مثل هذا العدد بحاجة الى ميزانية ضخمة ليست الدول التي خاضت حرب حزيران على قدها . لم يتأثر الاقتصادان السوري والعراقي كثيرا بنتيجة الحرب . أما مصر فقـــد فقدت مورد القناة كله وبترول سيناء ، وفقد الاردن موارد الضفة الغربية ، فعوضت عليها الدول العربية ما يتجاوز ثلث ما فقدوه .

ان العرب عندما يتحدثون عن الحرب يغفلون أمر الميزانية . ولا حرب بلا ميزانية . ان حشد العدد البشري وتدريبه وتسليحه واعاشته يحتاج الى المال ، لا الى خطب ثوريي الميكروفون .

ان ميزانية الدول التي خاضت حرب حزيران غير قادرة على ان تصبح ميزانية حربية . فالاردن بحاجـــة الى المساعدة دائماً لادامة وجوده . ومصر تعاني مشكلتها الازلية في القرن العشرين : الولادة . كل محاولات الرئيس عبدالناصر لرفع المستوى الاقتصادي فشلت امام هذه الحقيقة . كلما اسرع ، وِلِدَ عـدد من الافواه البشرية يتطلب أضعاف الطاقة المبذولة . ان اكتشاف البترول حديثا في المتحدة بشير حسن بتبدل الحال . اما عن سورية فلا بدّ من استغلال موارد الثروة الطبيعية ولن يمكن ذلك قبل سنين. أما انها أعلنت تحويل اقتصادها الى حربي فهو شيء لم أفهمه . ترى هل يعني ذلك معامل النسيج أم الكبريت أم الصابون ؟ لقد رسا المزاد أخيراً على حسم ١٠٪ من رواتب الموظفين ولا أظن الرواتب كلها تربح الحرب أو تمكن سورية من حشد احتياطها في معركة . اما بالنسبة للعراق فقد يكون الدولة الوحيدة القادرة على ذلك ، هذا اذا اسرع باستغلال موارد البترولية المكتشفـة

حديثا . ان البطء مهما كان سببه هو تأخير للجمهور الحربي .

ان مشكلة فلسطين هي عربية أولا ، قومية ولا بد اذا جدّ العرب من أن تكون ميزانياتهم قومية ، اعني ان يفرد منها بند خاص للمجهود الحربي القومي . كان ، حتى الآن ، ما تقدمه الدول العربية الغنية للدول المحاربة فضل متاع وكرما في غير محله وقد بات مفروضا عليها أن تكرّس قسطا من دخل البترول محدودا يتناسب مع ضخامة المعركة .

ان ميزانية اسرائيل العسكرية ما زالت حتى الآن أضعاف ميزانيات الدول التي دخلت الحرب . رقمها يتجاوز سنة١٩٦٩ ملياري ليرة اسرائيلية مع العلم أن سلاحها لا تدفع ثمنه أبداً . يأتيها تبرعاً من الجمعيات الصهيونية أو احتيالا على الضرائب التصاعدية في البلدان المختلفة الاخذة بهذا النظام .

لقد استطاعت اسرائيل ان تنظم التبرعات غير الثابتة فتجعلها موردا منظما ثابتا بينما لم يحاول العرب ان يسخروا الثروة للحرب. ولذلك كان محكوما علينا بخسران الحرب المقبلة . لقد اثبت الزعماء العرب مهارة هائلة بالتنصل من المسؤولية والقائها على سواهم مع انهم مسؤولون عن الهزيمة الماضية .

كلمة مائة مليون عربي أو ثمانون او اكثر أو أقل لا تعني شيئاً . هل هذا الرقم مجدٍ ؟ حتى الآن ، لا . وما اسهل أن يكونه اذا وضعت الامكانيات الضرورية وهي موجودة . ان تهرب الغني من الدفع أفدح اثرا من فرار الجندي في المعركة التي لن تبدأ إلا عندما يعتبر كل عربي أنه فيها مسؤول ويحدد هذه المسؤولية اخلاقيا وماديا . والتاريخ — لو غضضنا الطرف —

حكم لا يرحم .

يجب ان نبدأ من حشد ثروة العرب في المعركة حتى تكون طاقتهم البشرية فيها : أعني بترول العرب أولاً . إن التفكير بقطعه هو سلبي وخطأ لأنه مستحيل التحقيق ولا يؤثر التأثير الذي يذهب اليه الداعون له ظانين أنه يزيل اسرائيل كما أن عدم اشتراكه جريمة . . . فهو مورد الاقتصاد العربي الرئيسي وسبيلنا الوحيد للنصر .

تنبأت في « عرب ويهود » بسقوط الأنظمة العربية لأنها لم تكن على مقياس الخطر الذي يجابهه العرب . لقد هزت هزيمة ١٩٦٧ ضمير الشعب العربي ووعيه وفتحت عينيه على حقائق كثيرة : أولها أنه كان يعيش في الوهم وأن الواقع آخر، وانقلبت مفاهيمه السياسية رأساً على عقب . أخذ يحصي ما قدم وأخر وما صنعت الحكومات على اختلاف ألوانها فوجد انها تنتسب جميعا إلى عالم الهزيمة ولا بد له من عقل جديد وروح جديدة تنفصل انفصالا مطلقاً عن الماضي المهزوم بكل زيفه ، وطبوله وزموره وأجوف غروره ، لتبني حجراً على حجر عالماً طقوسه وتقاليده وشريعته منبثقة عن الواقع بخيره وشره ببؤسه وبشيره.

وفعلاً أخذت الأنظمة تسقط واحداً بعد الآخر . كانت استقالة عبد الناصر تحولاً أساسيا في المتحدة وإعادة نظر في كل ماضيه السياسي. من يتتبع أحاديثه الآن يلمس صعوباته الداخلية، ولكنه يجد إنسانا جديداً استفاق وعيه على حقيقة غفل عنها أمداً . سلوكه السياسي بات آخر ، فهو يتمتع بالقدرة على أن يظل مشرع العقل للتجربة وأظن ، فوق ذلك ، أن نظرته للمجتمع آخذة بالتطور والتأقلم سريعا مع الواقع العربي تضفي عليها المرارة والحزن مسحة إنسانية تجعلها جديرة بالحياة

والتفاؤل الذي تزخر به المأساة .

لم يفاجىء سقوط حكم العراق أحداً . فلم يكن للرئيس عارف قاعدة يعتمد عليها في الجيش أو الشعب . كان بقاؤه رهناً بالتوازن وعدم وجود قوة منظمة تطيح به حتى ،إذا وجدت، انتهى وذهب بذهابه المسؤولون العراقيون عن الهزيمة .

أما عن السودان فقد كان التبدل حتمية تاريخية . جاء الحكم السالف بعد ردة شعبية ضد حكم العسكريين الذي لم يستطع تحقيق ما أمّله شعب السودان على يده . كان حكماً إداريا فقط فاقد الهوية ، فلا هو وحدوي ولا اشتراكي ولا رجعي ولا ديموقراطي . لو شاء مؤرخ أن يصنفه لما استطاع . كانت قيادته من الضباط الذين عاصروا الإحتلال الإنكليزي فكانوا دون أن يعلموا استمرارا مستقلا لجهاز الإدارة ذاك . تعرفت إلى بعض منهم فأعجبت بسلامة طويتهم ،صورة صادقة للسوداني الأصيل، ولكني وجدت أنهم غرباء عن المرحلة التاريخية ، لا يدركون القلق العربي والحاجة العميقة الإنسانية إلى مجتمع جديد .

آلت الأمور بعدهم باسم الديموقراطية إلى الرجعية التي لم تتعلم حتى الآن أي درس من الماضي . ذاكرتها ضعيفة ، نظرها قصير ، علاقاتها العشائرية التي تستمد منها السلطة تنسيها وتعميها عن الأوضاع الراهنة . إنها صورة معكوسة للمتسلطين العسكريين الذين يحكمون باسم الحزبية والتحرر . تطالب بالديموقراطية كي تحمي مصالحها ومصالح زلمها .تظن الديموقراطية تصويتا شعبياً حراً فقط . إن تحقيق الديموقراطية في الوطن العربي عبء أثقل من الإشتراكية ولا بد له من جيل مختار مؤمن،

إيمان حياة أو موت بالشعب ومثله العليا ، يسبق وعيه نهاية المرحلة التي نعيشها : تلك هي التقدمية .

حكم الديموقراطية النصف آيل دائما إلى الزوال عند أول هزة ، كحكم العسكريين النصف لأنها بلا قواعد شعبية وتنظيم شعبي قادر على التطور . أجهزتها مصطنعة مزيفة تعبر عن نظريتها الخاضعة للمصلحة والتسلط . هذا ، وبعد، ليس التسلط وقفا على العسكريين ، إنه نزعة في كل الذين يصلون إلى الحكم دون إيمان عميق مطلق بالشعب .

لم تسقط ، إذن ، الديموقراطية في السودان وانما صورتها الكاذبة . ولا استطيع أن اسمي حكم الملك فاروق الأول ديموقراطيا .

لم أكن أنتظر انقلابا في ليبيا لأني أجهل كل شيء عنها سوى روايات مختلفة متناقضة من مشاهدين لم يتعمقوا في تحليل بنيتها الأجتماعية . كانت العزلة التي فرضتهاالقوانين على العرب لا تنسجم أبداً مع الصورة التي رسخت في خيالي عن شعبها ، عبر من تعرفت اليهم من الليبيين والمقاومة الشجاعة العنيدة ضد الإحتلال . قد يكون عمر المختار أول من جسد في خيالي الطفل أسطورة البطولة . شعب سخي ، سمح الحب ، بريء العواطف . لم اكن أفهم أبداً كيف تتمكن الثروة الجديدة بعد اكتشاف البترول ، من أن تنأى به عن العروبة ، فتقسر أصالته على انفصال بخيل .

لقد جاء هذا الانقلاب مؤكدا نظرتي ،رغم اني – ولا انكر ذلك – لم أتصور حين كتابتها أنها تبلغ هذا الحدّ من الواقعية . لقد هز الأوضاع العربية جميعا دون استثناءوقلب كل موازين

السياسة العربية وتطلعاتها. مجيئه، بعد انقلاب السودان، يدل على أن أرضنا بدأت تهتز وأول الغيث قطر ثم ينهمل.

إتجهت بعده الانظار شئنا أم أبينا، أخفينا أم ابدينا الى الانظمة المشابهة للنظام الذي كان قائماً في ليبيا. كلنا صمتنا خشية إثارتها: بعض مكراً وبعض رياءً ولكن الناس ينتظرون احداثاً جديدة.

ولكن، هل هذه الانقلابات وما سوف يتلوها باقية أم ذاهبة أيضاً؟

هذا السؤال هو أول ما يجب طرحه: فلقد تعودت البلدان العربية على مسيرة غير شاقة للدبّابات التي تنتقل من حظائر الثكنة الى المباني الحكومية فتعلن قيام الثورة وزوال عهد بائد فيهلّل الشعب ويكبّر ثم تذوب الآمال وتنهد الدبّابات الى رحلة جديدة على نفس الطريقة لتؤم نفس الأمكنة وتردّد نفس الكلمات. لا أعني من ذلك أبداً أني أحكم على هذه الظواهر الجديدة بالنهاية فهي وحدها القادرة على أن تبقى أو تذهب كما ذهب غيرها.

انها ملزمة أولا بالايمان المطلق بالشعب وقدرته على العطاء. اذا لم يكن حبها له صوفيا عميقا فلن تكتب لها الحياة، لأن عشاق القضايا الكبرى وحدهم يبقون في ضمير الشعب وتاريخه.

لقد ذهب الغرور بحكام وانقلابيين كثر، وما أحرى بالحكام الجدد أن يلجأوا الى الواقع فيحدّقوا بمشكلة الوطن العربي دون زيف وكلمات كبيرة لا معنى لها.

رفعت الانقلابات الجديدة شعارات الاشتراكية أولاً وما

تحدّثت عن الوحدة الا همساً وفي خفر كثير أعلنت جميعاً انها ثورية ، ضد الامبريالية والاستعمار .

ما هي الثورة؟لست اريد أن أدخل هنا في متاهة المتافيزيك أو أزعم لنفسي القدرة على اعطاء معاني جديدة . سأتحدث ببساطة .

باتت هذه الكلمة تعبيراً مطلقا يكاد لا يعني شيئاً معينا.. كل من يهتم بالوثوب الى السلطة ثائر وثوري حتى لقد اختفى الفرق بين الكلمتين وفقدت الثورة معناها الأصيل .

انها تبديل جذري عميق لواقع مقسور . قفزة الى المستقبل الذي ترى معالمه وتخطط لها . انها حسم بين الماضي والمستقبل تجتث الشجرة من اصلها حتى تمرع باغصان أخرى تعد بالظل والزهر والثمر . هي نظام اجتماعي جديد كلي النظرة ،شاملها، ينهي القديم وما يلي فيه من ارث مستعبد ليقيم جديدا يحيي المناقب الأصيلة والقيم التاريخية ،يجلو عنها ما علقها من بغاء القرون، فتزهو فيها المثل العليا في مناخ حر يختار فيه الشعب طريقه اختياراً ، لا قسراً بسوط وجزمة .

الثورة رؤية جسور للحاضر وعثاره ، عميقة للمستقبل ووعده ، لا تداور ولا تداري. تعمل للنجاح ولا ترهب الفشل، فلا تؤزره بازار النصر ، ولات نصر . لا تراوغ الحقيقة مهما قست . لا تعيش في الوهم أبداً . إنها حسابات دقيقة في عصر الذرة والرقم . بل أذهب أبعد فأقول : من يخطيء تقييم الواقع ودقائقه وتفاصيله لا يحق له أن ينتسب الى الثورة .

أن يدّعي الثورة امرؤ ،سهل . وأن يكون على قدها صعب

لأن تغيير الفاسد الى صالح يتطلب حزماً وقدرة على الصراع في نفس الإنسان وضد قوى خارجية كبيرة . وما اكثر المغريات التي تنأى بأصحاب النية الطيبة عن قصدهم إذا أصبحوا في سدة الحكم .

مفروض في الثوري وخاصة في هذه المرحلة أن يضع يده دون وجل على اكثر الأوضاع خطراً .

العرب الآن قلقون على مصيرهم يجهلون ما يأتي به الغد . ذلك هو داء المرحلة الأول . بات الهلال الخصيب في حكم الخاضع للإرادة الإسرائيلية . بقاء العرب فيه مرهون بعدد المهاجرين الذين يؤمون إسرائيل ، إذا زاد نزحوا عن قطعة جديدة من أرضه ، إذا قل قبعوا عليها مدة أطول ولكنها تظل مؤقته وهم الآن ليسوا في مقياس النزاع : تلك حقيقة يدركها الرأي العام العربي ويخشى الإفصاح عنها .

وتأتي الأحداث متلاحقة لتثبت أن العرب مشلولون أمام ما يجري على مسرح أحداثنا رغم كل الصياح « الثوري » .

أفجع ما في حرب حزيران أنها أدانت العرب أمام أنفسهم واثبتت لهم ضعفهم وأنهم لم يدخلوا بعد هامش التاريخ .

وجاء حريق الأقصى ليجعل الإدانة حكما وفضيحة واتسمت نتائج هذا الحدث بالمراوغة والغباء وكأنهم اكتشفوا أخيرا أن اسرائيل تريد أن تزيله كي تقيم مكانه معبد سليمان جديداً . ترى ، ألم يفهموا ذلك منذ حرب حزيران ؟

كانت القدس كلها اسرائيلية قبل ذلك ما عدا المدينة القديمة وما كانت اسرائيل تلح على احتلالها أبداً لتجعل منها منطقة

سياحية . لا يعنيها من القدس الا الأمـــاكن المقدسة : المسجد والمبكى وما احتلتها كي تبقى مدينة إسلامية – مسيحية . لقـد اكتشف ذلك العرب أخيرا . ترى لو قرأ المسؤولون قليلاً مـا كتب عن القدس ، أما كانوا يرون ذلك من أجل بعيد ؟

تمخض الغضب العربي عن دعوة المؤتمر الإسلامي وسمعنـا الأخبار عن متطوعين من العالم الإسلامي .ألم تكف فضيحة مائة مليون عربي حتى نفضح أيضاً سبعمائة مليون مسلم ؟ ترى هل ينقص العدد البشري عند العرب ؟ لنعد مرة أخرى للميزانية .

إن المؤتمر المزمع عقده يجب ألا نثقله بالقرارات الفارغة . وأنا لا أعني أني ضد دعوته ، بل على العكس أحبذها . ولكن لنضع بين يديه ما يجعله مجدياً ولنحدد مداه عند التبرعـــات وتنظيمها بطريقة تصبح موردا ثابتا للدول ذات الطاقة البشرية والموارد القليلة . فالعرب المحيطون بإسرائيل قادرون على حشد الملايين لو يسرت لهم الإمكانية .

إن مصر وحدها قادرة على ذلك . قد يقول قائل ، ولكن المصريين ليسوا أهلا للقتال . تلك الدعاية العجيبة أخذ بهـــا العرب وصدقوها فروجوا لها . إن جيشا يقدم فيمعركة واحدة ويوم واحد خمسة عشر الف قتيل ليس جبانا أبداً . كانت القوى التي هاجمته أربعة أضعاف . اسلمهم العرب خاصة والمسلمون عامة للذبح . أمـا كانت تختلف النتيجة لو كان جيش المتحدة ثلاثة ملايين ؟ أما كان ذلك سهلاً على مصر لو كانت لديها الموارد الكافية ؟ لم إذن المتطوعون ؟

لقد أثار حريق الأقصى العالم الإسلاميوعلى العرب أن يحيلوا

غضبتهم إلى جدوى لا إلى اجتماعات تعقد ، فتنفض عن عواطف وتبادل تحيات وقرارات فيها بلاغة ، ثم لا شيء [1] .

إن أخطر لعبة قام بهـا المسؤولون العرب منذ ١٩٤٥ حتى الساعة هي تحويل الحنق الشعبي بوسيلة أو أخرى أهمها الأجتماعات . حضرت منها الكثير ، فكنت استغرب الفرق بـين ما تنشر الصحف والحقيقة . كان جو المؤتمرات دائما مخيبا يسيطر عليه جو عدم الثقة والدس . واقرأ في اليوم التالي ما يوهمني أن ما كتب يتناول شيئا آخر جرى على أرض أخرى . ولقـد حافظت الحكومات العربية على هذا النهج ، على تبدل الزمن والأشخاص والنظم ، بينما تقتضي الأمانة ، ايمانا بالشعب ، لإطلاعـه على أوضاعه مهما كانت سيئة ، وقيـادة هذا الحنق لمنطق الواقع لا تصعيده وتهدئته .

لقد بات الحنق العربي سلبياً مؤمناً بلا جدوى بكل الحلول التي ينادي بها المسؤولون . والحق أنها ليست حلولا أبداً، وكأنهم يعملون طواعية لترسيخ هذه القناعة مع أن الحل موجود ولكنه يتطلب ثوريين حقيقيين ينـادون به ويجعلون منه ، لا شعارا فقط وإنما هدف نضال شعبي مستميت .

قلت إن الإنقلابات الجديدة أشارت إلى أنها اشتراكية ومرت بالوحدة مرور كريم يخشى أن يتهم في ثوريته كـأن التقدم بات اشتراكيا والوحدة رجعية .

---

(١) كتب هذا الكتاب قبل عقد المؤتمر وصدق ما تنبأت به لأن الدعوة كانت ارتجالية . كان يتطلب تحضيرا طويلا ودعاية جدية ودراسة أوضاع الدول الاسلامية وعلاقاتها بين بعضها وتنسيقها ونسيان أشياء كثيرة .

لقد لعب الشباطيون في سورية لعبــة خطيرة في التاريخ العربي المعاصر عندما أحلوا الإشتراكية محل الوحـدة واعتبراو الإيمان بها يمينا صرفاً والتنكر لهـا يساراً ثورياً عنيفاً . خاضوا معركة ضارية ضد الوحدة كي يقطعوا الطريق على عودتها بـين مصر وسورية ولفعوا عداءهم لها بمسوح اشتراكية . جعلوا منها مرادفاً للسجون والمخابرات والمباحث وكل الشرور ورجعيـة فوق كل ذلك . مع أن البعث وحدة أولاً : تلك هو ثورته .

لقد دفعوا بأشلاء الحزب من انتهازيين ومتعيشين،ممن جمعتهم فجندتهم بعد أن خبرتهم المخابرات واطمأنت إليهم عبر التقرير والوشاية والترويج للإشاعة ، إلى المبالغة بالإشتراكيـة اللفظية وغفروا التصرفات الفردية التي تحقن الأعضاء بالحقد والضغينة . عندما يئسوا من القدرة على الإستمرار بما سموه إصلاحاً إشتراكيا -- فالمعمل مؤمم والأرض يملكها المقربون — أخذوا يبحثون عن معركة دونكيشوتية أخرى ، فاصطدموا بالواقـع ، ألاّ اشتراكية في أي قطر عربي وحده فهي إما أن تكون عربيـة او لا تكون . وإذا بها تحول على أيديهم صراعا بين مختار القرية والقيادة الحزبية التي يطمح أحد أعضائها أن يكون المختار قريباً له أو من عشيرته .

وشاؤوا ، وفي ذلك غايـة التنكر للبعث ، أن يحلوا شعار الحزب محل الأرض ، اكثر النقاط جوهرية في الخلاف العقائدي بين الماركسية والبعث . ذلـك الشعار لا وطني وبالتالي غير وحدوي يعني النضال من أجل الحزب وحده حيث وجـد . وكانت دولته ، كان ذلك على أرض عربيـة أو غير عربية ، إن

المبالغة بالتأكيد على دور الحزب والظن أنه متناقض مع مفهوم الأرض والوطن يقود إلى استنتاجات في عقيـدة البعث أصلاً .

لقد وجد هذا الشعار رغم تناقضه الجذري مع طبيعة النضال العربي ، وخاصة في هذه المرحلة ، من يدعو له فعجبت ، ثم ذهب عجبي عندما وجدت أن حزبهم مكتب لتشغيل العاطلـين عن العمل وبعد أن باتت البطاقة الحزبية وثيقة المرور اللازمـة الى مكاتب الوظيفة والراتب الشهري وأحيـانا إلى سيارة ليست من طراز (الفولكسفاكن) وانما أمريكية أمبريالية أو المانيـة غربية يعرف المواطنون أنها سيارة مناضـل عنيف شرس من الكلة التي في مؤخرتها ترد عن سيادته حرارة الشمس . أمـا قعدته فيها فلا أروع : فخذ على فخذ ويد على الخد ، والساعـد على المسند كي يحمل ثقل الرأس وعمق تفكيره .

من يقرأ تجربـة الدكتور منيف الرزاز المرة وكيف كان يذهب إلى المناطق داعيا الحزبيين إلى العودة لعقيدتهم ، فينتهى الأجتماع إلى طلبات التوظيف ، يجد أني لست الوحيـد الذي اكتشف هذه الحقائق ولكن أكثر الناس لا يعلنون ما يعرفون.

لقد استطاعت وسيلة الإعـلام والترديد الدائم وصمت الأحرار ، رهبة أو قسرا ، من إقناع كثيرين بمـا ينأى بهم عن الثورة . كادت تصبح المناداة بالأشتراكية أساساً وبالوحدة فزعاً.

في تاريخنا الحديث حقيقة راعبة : من يصرخ اكثر يمسي على حق ، وللشباطين حناجر مشحوذة مدربة لا تمل .تولول بمناسبة ودون مناسبة لا يجهدهـا التكرار ، والبعد ستار للعري يموه الواقع ويدفع للظن بأن ما يسمع عين ما يأمل .

برقيات التأييد المذاعة تجعل البعيد يتخيل أن الشعب مؤيد، لا يعلم أن أدراج المخابرات ملأى بالنماذج والأسماء تدفع للمذيعين فيقرأون وكثيرا ما يعيدون ما قرأوا في مناسبة سابقة . ومن يجرؤ على الاعتراض عندما يسمع اسمه ؟

لقد استطاع الإعلام-وهو أداة التوجيه في الثورة الأصيلة - تزييف عقيدة البعث والإرادة الشعبية ورأيت ، وللأسف ، أن كثيرا من دجل الشباطيين بات شعارات يؤمن بها ويرفعها الطليعيون . فهي أرضى للغرور ، تجنب خطر المجازفة الثورية الحقيقية .

ذهبت مزاعم أدعياء الثورة العربية إلى أنهم ضد الأمبريالية ومطامع الولايات المتحدة خاصة .ولقد أثبتت السنوات الأخيرة أنها لا تخشى الشعارات الإشتراكية في الشرق الأوسط،بل ترحب بها . فهي عالمة أن الأنظمة الرجعية مؤقتة مهما طال بها الزمن وحاولت التشبث بمواقعها بأساليبها القديمة . ولقد اثبتت هذه حتى الآن أنها غير قادرة على الخروج على هذه الأساليب فكان طبيعيا أن تأتي أنظمة أخرى.وهمّ امريكا أن توقف المدالشيوعي باشتراكيات لا تزعج نفوذها . إن ما تريده هو تحديد دور الأتحاد السوفيتي في المنطقة بالتوازن المسلح ، ولم تستطع جهوده حتى الآن أن نوصل القوة العربية إلى نصف قوة إسرائيل .

أما ما يزعج أمريكا فهو الوحدة ، ولا أعني وحدة شبيهة بوحدة سورية ومصر . فلقد تجاوز ، تلك ، الزمن والضرورات الوطنية الملحة وأصبح لزاما أن نذهب أبعد وأن نفكر بالإقتصاد أولا فتزيد الوحدة أو الوحدات ثروة الدولة كي تمكنها

من مجابهة الخطر .

يجب أن ندرك أن فشل وحدة مصروسورية سببه اقتصادي أولا . فقد وحدت كل شيء إلا الاقتصاد . لقد جاءت الضربة الحقيقية لها على يد الرئيس قاسم الذي نأى بالعراق وموارده وسوقه عنها .

لقد دعمت السياسة الأمريكية كل الحركات الإنفصالية ، إشتراكية أم غير اشتراكية ، صاحت ضدها أم صمتت . وهذا يفسر تأييدها لحكم الشباطيين في سورية وزعيمه اللواء صلاح جديد . لأن الخطر الأساسي على سياستها في الشرق الأوسط هو الوحدة .

لقد غدت إسرائيل أقرب وأفعل من مسرح الأحداث العربية وأخذ دورها يتوضح في الوطن العربي بعد حرب ١٩٦٧. كنا لا ندرك كثيرا من تصريحات رؤسائها من قبل . مثلاً ، أعلن اكثر من مصدر اسرائيلي قبل تلك الحرب أنهم لا يقبلون تبدلا في أوضاع المنطقة ، فلم نفهم . أما تصريح إشكول بعدها الذي يقول فيه : « إن اسرائيل ترفض قيام أية وحدة بين البلدان المحيطة بإسرائيل » فيعلل تخوف الزعماء العرب من شعارالوحدة ويفسر خطر قيام وحدة وضرورته بين أي قطرين عربيين .

لقد دأبت حركات التحرر على أن تراوغ وتداور حول شعار الوحدة فحكمت على نفسها بالنهاية والإنحراف عن التحرر والثورة . وعليها ، إذا شاءت أن تناضل فعلا وأن تكون من التاريخ ، أن تستميت من أجل تحقيق الوحدة .

الحل المطلوب

ما هو الحل إذن ؟

في مناقشاتي مع كثيرين كنت أصل دائما إلى هذا السؤال . ولندرس أولا الحلول التي كثر عنها الحديث في الآونة الأخيرة من وحدة عسكرية، إلى جبهة شرقية وغربية، إلى الكفاح المسلح.

الوحدة العسكرية لا تعني شيئا ما لم تكن أساسا ومقدمة لوحدة سياسية . ولقد اصطدمت كل المحاولات بعراقيل جعلت تطبيقها مستحيلاً . يبدو مما يذهب اليه المسؤولون أنها توحيد القيادة فقط. واعطيت اسما ضخما كي تعجب الشعب . بالنسبة للجبهة الغربية : وحدة القيادة واقع. أما عن الشرقية فهو أمر مستحيل. إن وحدة القيادة تعني تصرف القائد بحركة الجيش وتنقله

لقد اصطدمت كل الجهود التي بذلت قبل حرب حزيران في سبيل ذلك بالرفض .جهد الرئيس عبد الناصر في أن تضع سورية مطاراتها تحت تصرف القيادة العامة دون جدوى . فقد أبى الحذر والحرص على الحكم ذلك ،ولم تكن وحدة القيادة في ١٩٦٧ غير اسم فقط ، فكان ذلك من عوامل الهزيمة .

والآن ، هل يسمح الحكم السوري لقيادة موحدة بحرّية الحركة؟ إن قائد الجيش الشرقي لا يتمكن من نقل عريف من مكان إلى آخر . ولا أظن الحكم السوري يقبل بأية حال بتحريك إحدى

القطعات الحامية له على مشارف دمشق مهما كانت الاسباب .

إن الحكم في دمشق يعيش في رعب دائم مستمر منذ الثامن من آذار . متى غفل ساعة ذهبت ريحه . يسيء الظن بأي اقتراح ويرى فيه ، مهما كان بريئا ، مناورة ومؤامرة لقلبه . وهكذا كتب العجز على أية قيادة موحدة . فهي لا تدري أي اعتبار يجب أن تقيم : الحرب مع اسرائيل . أم المحافظة على الحكم . وهكذا نرى أن القيادة الموحدة اسم فقط ، تظل كذلك حتى تصبح قادرة على إصدار الأوامر التي تتطلبها المعركة دون أن يشك في نياتها .

أما الكفاح المسلح فهو أعجوبة الأعاجيب . تحدثت دمشق عن الجيش الشعبي وقوامه الفتوة والحزبيون والموظفون . من لا يتدرب منهم يسرح . لو رأت عين القارىء الموظف العاجز في استعراض لذهلت مما سمعت ورأت .

الكفاح المسلح هو كفاح شعبي طوعي وهيهات أن يقاتل شعب سورية ، وهو يساق سوقاً . لقد افقده الأضطهاد كل قدرته على المقاومة . مستحيل عليه بل على أي شعب آخر أن يقاتل وهو مستذل ، مسلوب الحرية .

يا من رأى دمشق تتلوى بين أيدي الشباطيين ذلاً وذعراً . لقد افقدوها كل غرورها وكرامتها فحالت إلى مدينة راكعة خانعة ، وهيهات أن تحمل البندقية وأنفها معفر بالرغام .

ذهب الشباطيون بعد حزيران مذاهب عجيبة غريبة . منهم من فهم الكفاح المسلح أنه حل للجيش وتسليح للشعب . لم يعملوا العقل حتى يدركوا أن الأمم التي لا جيش لها تخوض

الكفاح المسلح حتى تصبح ذات جيش . نادوا بأن يقاتل الشعب دون أن يتساءلوا كيف تقاتل الشعوب . إن الحرب الشعبية لا يخوضها إلا الأحرار ، وشعب سورية مستعبد .

إن حرب الأنهاك هي عملياً مجالنا الوحيد الآن في حرب تحرير شعبية بل في حرب كلاسيكية ولكنها وسيلة من لم يجد سواها ، تظل مغلولة الحدود ما لم تكرس لها إمكانيات مادية كبرى وما لم يشترك بها الشعب وهو حر بلا اغلال .

أما الحل فهو عندي يبدأ بتحديد قوانا . ليس العرب الآن بمقياس الهجوم ،فلا بد من أن يعدوا الدفاع . فالتفوق الإسرائيلي لا يدع مجالا للتفكير لسواه الآن . لكن يجب أن نعده جيداً وأقدّر أننا لن نصل إلى التفوق قبل عشر سنين . تلك حقيقة إن لم يعلنها المسؤولون ، فيعرف الشعب أين هو ، جروه إلى هزيمة اخرى .

إن الزعيم الحقيقي هو الذي يستطيع تأخير الحرب . فإسرائيل تستعجلها وهي مستعدة لها ونحن لما نستطع بعد الخروج من دوامة الخلافات العربية .

قد يقول قائل : وماذا لو ملكت اسرائيل القنبلة الذرية ؟ فأجيب : ذلك جائز ولكنه لا يبيح لنا الدخول في معركة خاسرة . إن إعداد نصر يتطلب اعصابا على قده وقدرة على الإنتظار مهما كانت الظروف . ولأن نخدع شعبنا حتى الهزيمة ، خيانة صراح .

لقد عولجت قضية فلسطين حتى الآن بخفة ما بعدها خفة سببها الجهل والغرور .أعرف زعماء ثقافتهم الفلسطينية لا تتعدى

ما تنشره الصحف .

يقول موشه دايان في كتابه عن حرب سيناء : « لو قدر لي أن أقود جيش إسرائيل مرة أخرى في حرب فلن اتبع إلا هذه الخطة حتى في التفاصيل » . سأله سائل : « وكيف تعلن ذلك بهذه البساطة » ؟ فأجابه : « لأن العرب لا يقرأون » .

حتى الساعة والعرب يخوضون الحرب دون إعداد حقيقي للنصر . فهي تتطلب تضحيات وإنكاراً للذات : شيئاً لم يثبته أي زعيم عربي . قد يقول قارىء أني أبالغ ، ولكن ، ليأتِ من شاء منهم بمثل واحد ، فاتراجع عن رأيي .

آخر ما قرأته في الصحافة العربية خبراً صدر فيها مباشرة بعد مؤتمر القمة المصغر عن مشروعي وحدتين : الأولى بين مصر وليبيا والسودان والثانية بين الأردن وسورية والعراق . ثم ذاب هذا الخبر سريعاً فما جرؤ أحد على العودة إليه خشية ان يصبح مطلباً شعبياً .

هوذا مشروع تاريخي . تلك هي الثورة . هـذا هو طريق النصر .

مشروع عملي يقلب ميزان القوة ويبدل وجه التاريخ العربي.

بعد حرب ١٩٦٧ لم تبق وحدة سورية ومصر ممكنة . أما بعـد وصول البعث للحكم في العراق فقـد أصبح سهلاً وحتمياً توحيد سورية والعراق .

إن وضع سورية الدفـاعي وخاصة بالنسبة لدمشق ضعيف ولا بد من مضاعفة عدد الجيش وعدته حتى يصبح ذلك ممكناً. وليس الإقتصاد السوري قادراً على ذلك في هذه الفترة ، لكن

توحيد البلدين وتنسيق الاقتصادين يضاعف طاقة كل منهما . لست الآن في مجال البحث المطول عن ذلك . لكن الدراسة قادتني إلى هذا الإستنتاج منذ سنة ١٩٦٣ : السوق العراقية عندما تصبح سوقا داخلية في دولة واحدة تضاعف إنتاج المعامل السورية مرة على الأقل . توحيد الميزانية يخفف عنها أعباء وزارات عديدة مثل وزارة الإعلام . تنسيق الميزانية العسكرية يضاعف مردودها . ويصبح فوق ذلك الجيش ضعف عدده الحالي دون ملابسات وشكوك .

لقد اصطدمت مثل هذه الوحدة بالخلاف بين القوميين والشباطيين . من منهما الحزب ؟ الحزب هو الذي ينسجم مع عقيدة البعث وهي أولا وحدة ،من تنكر لها خان مثله .

لقد رفع كل منهما شعار الشرعية والنظام الداخلي . ومتى كان النظام الداخلي متقدما على الإيمان والعقيدة ؟ خلاف بيزنطي ما اشبهه بالمشكلة التي كان يناقشها فلاسفة القسطنطينية : « كم روحا تقف على طرف الإبرة ومحمد الفاتح يدق أسوارها بمجانيقه » .

والآن ، يقف الجيش الإسرائيلي على مشارف دمشق ، احتلالها بالنسبة إليه مفروغ منه . والقوميون والشباطيون يتمسكون بالنظام الداخلي والشرعية .

لنكن معقولين : الشرعية — مهما كانت الظروف — إلى جانب القيادة القومية . ولا بد للحزبي المنضبط من أن ينصاع لها حتى تقرر القواعد . ولنسلم جدلاً أن الشباطيين على حق . فهل يحول ذلك دون وحدة عربية ويؤول بجزء من الوطن

للأحتلال وتصبح دمشق اسرائيلية لأن النظام الداخلي يعطي الحق للشباطين ولأنهم يصيحون أنهم أكثر يساراً أو تطرفاً ؟

ما معنى التطرف عندما تذهب الأرض ؟

فوجئت لما سمعت رئيس الوزارة السورية في زيارته لباريس يقول في اجتماع له مع الطلاب العرب : أنا لا أجد فرقاً بين القنيطرة ويافا أو حيفا ... وفوجيء الطلاب اكثر مني .

أن تكون يافا قبل القنيطرة وأعز ، ذلك حق ... أما أن يعني ذلك سقوط المدن العربية واحدة بعد أخرى لانها جميعا عزيزة ، ولأن النظام الداخلي والشرعية التنظيمية يقف حائلاً دون الدفاع عنها فذلك أمر تحار فيه العقول وتدفعنا ، أبينا أم شئنا ، لأن نعيد نفس السؤال : هل هذا المنطق غباء كله ، غباء فقط ؟؟؟

أما الشق الثاني فهو وحدة بين ليبيا ومصر والسودان . تلك هي وسيلة الإنقاذ الهامة الكبرى .

إن دولة من هذه الأقطار الثلاثة بما لها من طاقة بشرية وثروة تمكن العرب من أن يكون لهم جيش حقيقي ، تجعل الرقم البشري مجدياً ... تحيله من مصفق أو متظاهر إلى جندي في قطعة وتحل المشاكل العربية جميعا . عندئذ تكون لنا ، أخيراً ، دولة .

لا أعلم ما هي العراقيل الداخلية التي تقف في وجه مثل هذا المشروع ، ولكن وجودها وعدم التغلب عليها يدفعني للشك في ثورية من لا يبادر له . أنا أدرك أن الأستعمار يقف حائلاً دونه ، لكنه واقف حتما ودائما ضد كل وحدة عربية . فكان لا بد من

الصدام الآن أو بعد حين . وأقدر أن الظرف الدولي مؤات اكثر منه بعد سنة . إن هجوماً اسرائيليا على مصر سنة ١٩٧٠ يجعله مستحيلاً . ولا ننس أن هناك دولاً وقوى مؤيدة في الظرف الحالي لأنها تخرج نهائيا ليبيا من الفلك الغربي .

إن ما يجعله ضرورة وطنية هو عدم إمكانية تحقيق أية خطوة وحدوية لا سياسية ولا عسكرية في المنطقة الشرقية مما يجعل هذه الجبهة دون جدوى . فما دام الشباطيون في الحكم ستقام العراقيل دائما ضد كل تقارب من أي نوع وفي بيان مأساوي. فهم أقدر الحكومات العربية على « مسرحة » الحدث السياسي.

من يعد بالذاكرة إلى ما كانت تنشره الصحف العربية إبان وبعد هزيمة ١٩٤٨ من مطولات عن خطابات وفودنا في الأمم المتحدة ومجلس الأمن وعن الحق المغتصب وما كانت تنشره صحف اليسار من تهجم على هذه الأساليب ، ومن يسمع خطب أو يقرأ صحف اليساريين في الحكم الآن يعجب لهذا التوافق في الأسلوب مع صحف الأمس الرجعية رغم تبدل الزمان والإتجاه.

لم يكن ذلك آنئذ إلا تحويلا للرأي العام العربي عن الحلول الجدية ، وليس هو الآن بأنبل قصدا .

إن النصر ممكن بل سهل ، ولكن يجب أن نعمل له بريئي النية والقصد دون مطامح أنانية وعقد شخصية .

لقد تنازل الأمراء الألمان عن كل امتيازاتهم لتوحيد المانيا ، وتشبث العرب بتوافه السلطة رغم الأخطار التي تزيلهم أبداً عن مسرح التاريخ ، ونحن الآن على مفترق الطرق ، فاما أن نختار الثورة أو دعواها . الوحدة أو الفناء .

خـــاتـمة

لا أظن القراء العرب يؤيدون ما جـــاء في هذا الكتيب ولسوف يجد كل منهم فيه شيئا يختلف عما يعتقد . كل ما أرجوه أن يقرأوه بعين من نسي قليلاً ارتباطاته ومصلحته .

سوف يذهب كثيرون إلى أني يائس وأن ظروفي الخاصة هي التي دفعتني لليأس . أنا لا أنكر قنوطي أبداً ، فـلم أجد حتى الآن ما يدفع للأمل أو يوحي به وكأن الهزيمة موجة ارتطمت بشاطىء الغفلة العربي وارتدت إلى لجة البحر ، لم تخدش جـامد صخوره . لم يتبدل المنطق ولا البيان : الكلمات نفسها ، السلوك نفسه .

إن المؤمن الحقيقي بوطنه يصبح على وهجها إنساناً آخر حتى لتتبدل عواطفه وشخصيته . أما من يظل على حرانــه الشموس وغروره فهو المهزوم الحقيقي لأنــه لا يستطيع أن يرى طريق النصر ، عينه عمياء عن سبله ، إحساسه مغلول عن ادراكها ، لا يعيشها فينهد لردها . إنه إنسان الهزيمة يعدهـا ، حسن أم ساء قصداً ، ومـــا اكثر المسؤولين العرب الذين حجبوا عن عيونهم الرؤية بسجف السلطة والغرور !

لم أرَ حتى الآن ما يوحي بالأمل . إن المرحلة التي نعيشهـا الآن هي نهاية عصر الإنحطاط . ذلك تفاؤلي الوحيـد وأجو أن

تكون كذلك . إنها المرحلة التي لا تنتهي إلا بيأس تاريخي رأيت بذوره في الفدائيين الذين ينفصلون ، قليلا قليلا ،عن عالم الهزيمة .

إن أمتنا بحاجة لمنتحرين يزرعون فجاجها دماً لا هدف له ، يلقون الدرس نهاية حزينة رائعة .

لقد انتهت هزيمة حزيران دون أن ينخدش موقع من مواقع السلطة .

لقد دقت الطبول قبل تلك الحرب داوية زاعمة أن اسرائيل لا هدف لها غير إسقاط الأنظمة الثورية .وصرح بعض مسؤوليها تصاريح مطابقة لما زعم أدعياء الثورة تؤكدها وتوهم الشعب العربي بصحتها . وانتهت الحرب واستمر الضجيج والأنظمة العتيدة باقية .ولا أذهب إلى أني أرجو لها السقوط ،فهو لا يبدل شيئا من الواقع ما لم يقف الشعب على قدميه . ولست الذي يؤيد انقلابيا على آخر ، وما يعنيني وجه زالت صورته عن صفحات الجرائد الأولى فحل محله وجه جديد لا تقل ملامحه عن سابقه فتنة أو قسوة . يعنيني أن يتبدل العقل وأن يمسك الشعب أمره بيده دون أوصياء وسوط وسجون وتقارير .

إن الأنظمة لم تصنع حتى الآن شيئا يدفع اسرائيل لإسقاطها. أراها تطبق السياسة التي تمكّن لها.

إسرائيل ضد الوحدة ، عسكرية أم سياسية ، ضد قيام جبهة شرقية وتنسيق عربي . إن اكثر الثوريين الحاحاً على أن الحرب قامت لسقوطهم هو نظام الشباطيين ولم أرَ منذ حزيران حتى الساعة عملا واحداً جدياً ضد اسرائيل . قال لي أحد مسؤوليهم إنهم يتمسكون بمواقعهم لأنهم شاهد التاريخ

الوحيد في هذه المرحلة . أجبت بكل بساطة : « أن التاريـخ يرفض شهادة الزور » .

إن الأنظمة التي لا تعمد تاريخها بشهداء في ساعات التجربـة والخطر تحكم على نفسها بأنها ليست على قد الحياة ولا اهلا لهـا . لقد سقط الجولان فأبنوه شعرا وتعليقـا صحافيا دون ان يجرح قائد شباطي واحد ولو بشفرة حلاقة .

إن الفترة التي تسبق نهايةمرحلة الانحطاط تتميز ببلادة الحس والانانية من جهة ونقيضها عند الذين يستشفون المستقبل فينقلب توترهم إلى يأس قاتل حي يزرع الغضب في الأجيال القادمة .

لم ارَ حتى الآن بشيرا ينذر بنهايـــة الانحطاط غير بأس الفدائيين . إنهم جدوى كلهم ، لكني أخشى عليهم الغرور . فقد بدا عليهم جنوح إلى كثير منه . لقد ذهب بعض الى أن الدعوة للقضية الفلسطينية هامة وأذهب أبعد فأقول إنها على نفس أهمية الحرب . إغفالها أهم اسباب الفشل ولكنها يجب أن تعتمد على قواعدوعلى فهم نفسيةمن تقوم بها لديهم . ان المبالغةأخطر من عدم الدعاية ، لقد وجدت في إعـــلامهم كثيراً من الحشو والطفولة والفوضى وعدم الخبرة. ان رجولتهم تدفعنا لأن نغفر لهم الخطأ ، لكني أرى الواجب يدعوني إلى تنبيههم دون مواربة بان الدعوة التي تساق مع العواطف سلبية لا بد من أن نخضعها للعلم والمنطق حتى تجدي .

إن نمو حركتهم وامتدادها دليل على أن الحياة ما زالت ثرّة في شعبنا ، لكنها أيضا تعاني عدم التنسيق . شرط نجاحها أن تنسجم وأن توحد قيادتها وأن تنسق استراتيجيتها مع الجيوش

لان بقاء القوى العربية دون قيادة وتخطيط يؤدي بها حتما إلى الفشل .

إن حالتهم النفسية التي أدت بهم إلى الإفتراق عن قطيع الهزيمة هي أصدق نذير بسقوط الأنظمة المعبر سلوكها ، رغم ما ترفع من شعارات ، على أنها نهاية التخلف .

لم تؤثر ظروفي الخاصة أبدا ، في منطقي وتفكيري . فانا ، منذ قررت أن اتكلم ، مصمم على كل الشقاء وأعرف أني اقامر برأسي ، ولكنه عندي سيان . سأكتب حتى يسقط .

نهاني الصديق من اجل ابنائي ، وأنا أعرف انهم يقاسون ما لم يقاسه الأطفال . وما حيلتي بهم اذا دعاني الواجب فكانوا ضحيته ؟

أعرف أن وراء كل حرف من حروفي عذاب لهم ، أعلم أن كل كلمة هي عندهم ساعة جوع . لكني أرى مصير أطفالنا نحن العرب أبشع من مصيرهم . فما ضرهم إن سبقوا قليلا قافلة الجائعين ؟

إن الأب ليضعف أمام حرمان ابنه وبؤسه حتى لينصهر القلب وينسحق . وما كان يجوز لي أبدا أن أكون أبا . أما واني أصبحته ، فقد حق علي أن أعطي الآباء المثل فأخنق الحزن والدموع والحب .

كل هذه الوعثاء لم تبدل قناعاتي ، بل لم تؤثر عليها إن الفكر وحده ،هو الذي يملي علي اليأس. ولو رأيت بادرة واحدة تدل على الجد في التخطيط العربي لكنت أكثر العرب تفاؤلاً .

هذه الأفكار لم تدع لي صديقاً . كلما اوغلت امتدت غربتي

وطالت حتى لكأني أزيدها اختيارا .

بعد كل حرف ، بعد كل كلمة أجدني أكثر غربة،وحيدا . . . فأزداد إصرارا .

قرأت في الصحف اللبنانية أن الحكم في سورية يطالب بي لأني مشترك بمؤامرة لقلبه بالإتفاق مع دولة أجنبية . . . فضحكت

لو أني أفكر بالعمل لقلبه لما غادرت سورية أبداً . فأنا في مثل هذه الظروف أعمل في الداخل مهما كانت النتيجة .

بقيت في السجن شهورا وأنا أطالب بمحاكمتي ، فلم لم يفعلوا إذا كان زعمهم صحيحا ؟

كتبت لهم وأعلنت في الصحف أطلب محاكمتي على أن أعطى حق الدفاع فقط . أما النتيجة التي تنجم عن ذلك فلا أهتم بها . الشيء الوحيد الذي أخشاه ألا أتمكن من قول كلمتي الأخيرة . وما كنت أطلب ضمانة لو وثقت بهم . فهم جبناء ، والسلاح في يد الجبان جارح .

أعلن في هذا الكتاب اني أقبل بالضمانة التي يقترحونها هم أنفسهم حتى اسلمهم نفسي طائعا مختارا . عسى أن يقبلوا التحدي .

أريد أن أعطيهم الدرس . لقد ذهب الجولان دون أن يحاكم إنسان واحد . ذلك أن البدء بالمحاكمات يفضح كثيرا من الأسرار وقد لا يتعرض أحد من المسؤولين حالياً إلى جزء من الخطر الذي اتعرض له ، لكنهم آنئذ يسقطون إلى لا رجعة وعلى يد الشعب .

إذا كانوا بريئين ، لمَ يحرصون على هذا الكتمان ؟

أردت من هذا الكتيب أن أنبه العرب إلى الخطر القريب ، وأردت منه أن ادل على تجنبه . وأنا لم اكتشف القمر ولم آتِ بجديد ، فكرت بهدوء وطويلا ضاربا عرض الحائط بمصلحتي وارتباطاتي ..

قول الحقيقة في الوطن العربي والتمسك بحرية الرأي ضرب من المستحيل . ونحن العرب ضد كل من يكشف عوراتنا . وما كنت لأركب هذا المركب الخشن لولا شعوري العميق بالمأساة ، لولا خوفي على أرض الوطن وتعلقي بها ، والتشرد يؤجج عشقي حتى لقد باتت ذرة الرمل العربية فاتنة يليق جمالها بالقصائد الخالدة . كلما شطت بي شقة المسافة والزمن همت بها حتى يتصوف الحنين .

أكبر أمالي الآن ، عبر المشقة والشوق والأحزان ، أن تظل الرملة عربية تذروها الريح ، فتظل عربية لا تطأها نعل محتل ، تتألق بالشمس . تحترق بها فتزهو ... تذروها الريح في عيني فأطبق عليها البؤبؤ والجفن ، أغمضه وجداً بها حتى تنسرب إلى القلب ، فيخفق لها وبها حتى الوجيب ... حتى الموت .

فهرست

« كتبت لهم واعلنت في الصحف اطلب محاكمتي على ان اعطى حق الدفاع فقط » ...

« ... اعلن في هذا الكتاب اني اقبل بالضمانة التي يقترحونها هم انفسهم حتى اسلمهم نفسي طائعا مختارا . عسى ان يقبلوا التحدي » ...

« ... اريد ان اعطيهم الدرس . لقد ذهب الجولان دون ان يحاكم انسان واحد . ذلك ان البدء بالمحاكمات يفضح كثيرا من الاسرار » ...

« سامي »

الثمن : ليرة لبنانية او ما يعادلها